١١٠

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية

بحث حول

سورة العصر

الشيخ احمد عبد الرضا ترف الطائي

1435هـ - 2014م

بحث حول سورة العصر

في هذه المحاضرة تم التعرض لأهم المسائل المعرفية والطائف الخفية في سورة العصر المباركة.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب آله العالمين المبعوث رحمة محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال الله تعالى: ((والعصر إن الإنسان لفي خُسر إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر))[1].

هذه السورة المباركة اسمها سورة العصر، وهذه السورة تعتبر من السور القصار التي فيها إشارة إلى معارف كثيرة.

ربِ العزة يقسم قسماً، والقسم عادةً يُستعمل لتأكيد الأمر الذي يذكر بعده فأقسم الله في بداية هذه السورة المباركة بالعصر فقال تعالى: ((والعصر)) الواو هنا هي وأو القسم، ولو نقف عند كلمة العصر ما هو المراد بالعصر هل المراد من العصر هو مطلق الزمان أو زمان خاص، واذا قلنا زمان خاص، هل هو وقت العصر في قبال الظهر، أو هو وقت صلاة العصر وهذا رأي آخر، وهناك رأي ثالث يقول إن المراد من العصر هو عصر ظهور الإسلام ولأهمية هذا العصر أقسم الله به، وهناك رأي آخر قال أن المراد بالعصر هو عصر ظهور الإمام الحجة (عج) باعتبار أن في ذلك العصر أن الإسلام الحقيقي يطبق تطبيقا صحيحاً ومن جميع الجهات على يد الإمام المهدي (عج)، فأقسم الله تعالى بالعصر أي عصر ظهور الإمام المهدي (عج) ولعل أطلاق لقب إمام العصر، وإمام الزمان على الإمام الحجة (عج) فيه إشارة إلى ذلك (والله اعلم)، ثم قالت الآية: ((إن الإنسان لفي خُسر))، (إن) مؤكدة وهي من

[1] سورة العصر.

الأدوات التي تفيد التأكيد ((إن الإنسان لفي خسر)) يعني كل إنسان خسران، كل البشرية خسرانة، يخرج الإنسان من هذه الحياة الدنيا من دون أن يحمل معه شيئا يسميه بالربح، وهذه حقيقة يؤكدها القرآن الكريم وهي تشمل جميع أبناء هذه الدنيا مهما كان انتماؤهم وقوميتهم ودينهم، فكل إنسان في خُسر، نعم هناك استثناء من هذه الحقيقة التي أكدها القران الكريم.

فقال الله تعالى: ((إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتوا بالصبر)) هذا استثناء يعني كل إنسان خاسر إلا فئة من الناس التي لا يشملها الخسران، هذه الفئة عبارة عن أُناس جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

((إلا الذين أمنوا)) لو نأتي إلى هذه الكلمة المباركة، المؤمن الحقيقي هو الملتزم بدينه التزام حرفيا، هو الملتزم بشريعة النبي (صلى الله عليه وآله) مطبق لها تطبيقا صحيحا، ترى إن المؤمن ممتثلاً لأمر الله ومطبقا للواجبات بصورة صحيحة وتارك للمحرمات باعتبارها خطوط حمراء، ثم قالت الآية: ((إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات)) كلمة الصالحات قد وردت في القرآن الكريم كثيرا، قال الله تعالى: ((المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير وابقى))[٢] وقال في آية أخرى: ((إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرُ غير ممنون))[٣].

ولو نقف عند كلمة الصالحات، هذه الكلمة تشمل جميع العبادات، سواء كانت واجبةً أو مستحبة، فالصالحات تشمل الصلاة والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والكلمة الطيبة والصدقة وكذلك السلوك الأخلاقي، هذه الأمور الواجبة والمستحبة تدخل كلها تحت عنوان الصالحات، هذه الصالحات ملازمة مع الإنسان يعني كل شيء يفارق الإنسان إلا الصالحات، فينبغي على الإنسان إن ينتبه بان كل شيء يفارقك ويتخلى عنك إلا

[٢] سورة الكهف: آية ٦١.
[٣] سورة التين: آية ٦.

العمل الصالح، هذه الأموال تتخلى عنك بعد الموت وكذلك الأولاد سوف يتخلون عنك ويفارقونك وكذلك المناصب والمراكز والجاه ستزول جميعاً، فينبغي على الإنسان أن ينتبه وان لا تغره هذه الحياة الدنيا، فهذه الأمور حدها إلى القبر، ومن هنا يأتي احد الأدباء ويقول:

كأني بأحبابي على حافتي قبري ... يهيلون فوقي ودموعي تُذري

فيا أيها الباكي دموعه عليه ... ستعرض بعد يومين عني وعن ذكري

وهذا الإنسان مهما كان مقامه ومهما كان مركزه سوف يُنسى والنسيان نعمة من الله تعالى، فأريد إن أقول على الإنسان إن يهتم ويعتني بالصالحات، بالعمل الصالح والاهم من هذا هو كيف أن يحافظ على عمله من الضياع لأنه قد كلمة واحدة تخرج من الإنسان تؤدي إلى ضياع أعماله وإلى إحراق جميع أعماله، فينبغي على الإنسان أن يحافظ على أعماله كما يحافظ على أمواله، لكن الذي نراه أن الإنسان يهتم بأمواله ومشغول في هذه الحياة الدنيا. وبعبارة أخرى مهتم في الأموال الجانبية الزائلة ومعرض الباقية التي تلازمه فيقبره وفي آخرته.

المؤمن ينبغي عليه أن يكون حريص على آخرته وأن يلتفت ماذا قدم للآخرة، وأن نقتدي بالأولياء والصالحين من علمائنا الأعلام، أنظر إلى الشيخ الطوسي (قدس) وهو أحد كبار علمائنا، وله حق كبير علينا، بل على الشيعة جميعاً بل على المسلمين كافة.

كان للشيخ الطوسي (رحمه الله) بيتاً بقرب الحرم العلوي الشريف، فأوصى بأن يدفن في بيته وأن يحول البيت إلى مسجد، وهكذا صار، والمسجد بقي ألف عام وإلى يومنا هذا، حيث المسجد عامر بالمصلين وبالبحوث العلمية وقراءة القرآن والذكر والعبادة، بجوار الصحن الشريف في النجف الأشرف.

نعم مثل الشيخ الطوسي هو الذي يفهم الحياة، أما من يكون كل فكره في أمواله وأملاكه وتجارته وما أشبه ذلك، فأنه يموت وتنتهي تلك الأشياء من دون أن يدخر لنفسه شيئاً.

وهكذا لو نقف قليلاً عند العلم الكبير الشيخ الأعظم (قدس) جاء أحد التجار يوماً إلى الشيخ الأعظم الأنصاري (رحمه الله) ورأى أنه يسكن في بيت متواضع جداً، لا يليق بأقل الطلبة، فكيف بمثل الشيخ (قدس) وهو المرجع الأعلى في زمانه.

فأعطى هذا التاجر الوافد من إيران للشيخ الأنصاري مالا وقال له: اشتر بهذا المال بيتاً ولك حق التصرف في المبلغ كما ترى، ثم ذهب التاجر للحج، فلما رجع سال الشيخ عن البيت؟

فقال الشيخ: اشتريت به بيناً أفضل؟

فقال ما هو؟

فقال الشيخ: نعم بنيت مسجداً وبيتاً لله بهذا المال.

ولا يخفى أن الشيخ الأعظم (قدس) بشراً أيضاً له غريزة حب المال وله غرائز وحاجات أخرى، لكنه ينظر إلى أن هذه الأموال لا تنفع، فكان ينظر إلى الأبعد، كما ورد في وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) (كان بعيد المدى)[٤].

وكان هذا المسجد الذي أوقفه الشيخ موجوداً من يوم تأسيسه قبل مائة وخمسين عاماً إلى يومنا الحالي.

أما إذا كان الشيخ الأنصاري قد أشترى بذاك المال بيتاً لنفسه كان ينتهي البيت بموته ويقسم بين ورثته بعد موته، ولكن كان ينظر إلى الآخرة، فهذا العمل المبارك يعتبر من الصالحات، وقد بقي هذا المسجد وقفاً إلى يوم القيامة، ومئات الآلاف من صلوات الجماعة أقيمت في هذا المسجد وستقام بإذن الله، وثوابها للشيخ الأنصاري، كما أن ألوف المحاضرات الفقهية دروس الخارج . أقيمت في المسجد وثوابها للشيخ الأنصاري.

[٤] من وصف لضرار ضمره الكناني لأمير المؤمنين (ع) أمام معاوية.

نعود إلى صلب الموضوع . فالصالحات تشمل جميع العبادات واجبة كانت أو مستحبة، وهناك رأي آخر يقول المراد من الصالحات . يعني البنات دون البنين، طبعاً الإسلام اهتم وأوصى بالبنت كثيراً، لأن البنت ضعيفة وتحتاج إلى رعاية خاصة وعناية خاصة، لان أهل الجاهلية قبل مجيء الإسلام قد ظلموا البنت كثيراً حتى منعوها من الإرث، بحيث كانت لا ترث شيئاً من أرث من أبيها، وإنما يُعطى فقط للذكر جاء الإسلام ورفض هذه الظاهرة الجاهلية وأوصى بالبنت، قال تعالى: ((وللذكر مثل حظ الأنثيين))[٥].

إذن الإسلام رفع من شأن المرأة وأعطى لها حقاً، فجعل لها حقوق كثيرة ولعل سائل يقول حتى الإسلام ما أنصف المرأة فمثلاً جعل سهمين للذكر (للرجل) بينما جعل سهما واحدا للبنت، فجعل سهمين مقابل سهم واحد، فهكذا يعتقد البعض يقولون المفروض سهم واحد مقابل واحد؟

نقول: هناك واجبات مترتبة على الرجل دون النساء كقضية الإنفاق:

١. يجب على الرجل أن ينفق على زوجته، سواء كانت هذه الزوجة فقيرة أم كانت غنيةً، وسواء كان الزوج فقيراً أم غنياً، فواجب عليه أن ينفق عليها، لا يجب على المرأة إن تنفق على زوجها.

٢. يجب على الرجل أن ينفق على أولاده وأطفاله . من حيث المأكل والملبس وإلى غير ذلك، وهذا الحكم لا يجري في حق المرأة.

٣. يجب على الرجل أن ينفق على أبويه أن كانوا فقراء.

الآية المباركة تقول: ((وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)) فقد جاء في تفسير (مجمع البيان)، وتواصوا بالحق . أي وصى بعضهم بعضاً بأتباع الحق واجتناب الباطل. يعني واحد يوصي الآخر عليك بالحق، عليك أن تلازم الحق، عليك بكلمة الحق، قل الحق ولو على نفسك

[٥] سورة النساء.

لان الحق يعلوا ولا يُعلى عليه، أنت انظر إلى سيرة الأنبياء والأئمة والأوصياء فأنهم تحملوا الكثير من الأذى والمصاعب والمتاعب بسبب ملازمتهم للحق، فلو نأتي إلى الصحابي الجليل المظلوم . حجر بن عدي . (رضوان الله عليه) من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الصحابي الجليل نال الشهادة مع ولده وسبعة تقريباً من أصحابه ن لانهم يقولون ويعتقدون بولاية أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، وقد جاءوا بهم إلى معاوية بن أبي سفيان (عليه لعنة الله) وقد أمروهم أن يتبرؤوا من علي بن أبي طالب فقالوا هيهات، لا نستطيع أن نتبرأ من علي بن أبي طالب (عليه السلام) لان علي يمثل الحق وقالوا قد سمعنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (علي مع الحق والحق مع علي اللهم أدر الحق مع علي حيثما دار)[٦]، فالحق ملازم لعي ومتمثل بعلي ولا ينفك عنه أبداً، وقيل (الحق) القرآن، يعني أن الحق هو القرآن، لان اسم من أسماء القرآن هو الفرقان، والفرقان هو الذي يفرق بين الحق والباطل، قال الله تعالى ((قل جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا))[٧].

إذن على هذا القول ((وتواصوا بالحق)) يعني وتواصوا بالقرآن يعني واحد يوصي الآخر بالقرآن، عليكم بالقرآن تمسكوا بالقرآن أرجعوا إلى القرآن وأهله، فالقرآن هو ربيع القلوب فقد جاء في الحديث الشريف: كحلوا أبصاركم بقراءة القرآن، طبعاً القرآن الكريم جاء إلى أمة ميتة تحمل مجموعة من العادات والتقاليد الباطلة، جاء القرآن إلى الأمة فأحياها وأنقذها من تلك الضلالة وتلك العادات الباطلة، فجعلها أمة تدعوا إلى السلام وإلى المحبة. وقيل الحق . هم الأئمة، يعني واحد يوصي الآخر عليك بالأئمة، تمسكوا بالأئمة أقندوا بالأئمة لانهم الامتداد الطبيعي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا بد أن نذكرهم ونذكر فضائلهم ومناقيهم وكراماتهم ونفرح لفرحهم ونحزن لحزنهم، قال الإمام الصادق (عليه السلام):

[٦] ميزان الحكمة: ج١ ص١٤١.
[٧] سورة الإسراء: آية ٨١.

(رحم شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا)[٨].

وقيل الحق . هو الإيمان والتوحيد.

(وتواصوا بالصبر) ما هو المرد من الصبر يأتي قسم من المفسرين يقول: أن المراد من الصبر الصوم . والدليل على ذلك قوله تعالى: ((واستعينوا بالصبر والصلاة))[٩]، وقد ورد عن عبدالله بن طلحة عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله تعالى: ((واستعينوا بالصبر والصلاة))، قال: الصبر هو الصوم. نعم هناك قسم آخر من المفسرين قالوا المراد من الصبر هو هذا المعنى الموجود بالذهن كالصبر على المصيبة.

((وتواصوا بالصبر)) أي وصى بعضهم بعضا بالصبر على نحمل المشاق في طاعة الله، والصبر عن معاصي الله، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا عند المصائب والشدائد وأن يجعلنا من الصابرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

[٨] شجرة طوبى: ج١ ص٢.
[٩] سورة البقرة: آية ١٥٣.